

الغني من أغناه الله



الإمبراطور أكبر

المعلم برمهنسا يوغانندا * الترجمة: محمود عباس مسعود

كان الإمبراطور أكبر (١٥٥٦-١٦٠٩م) أحد أباطرة المغول في الهند، وكان من أعظم ملوك القارة الآسيوية الذين عرفهم التاريخ على مر الأجيال. وقد استحق لقب راعي الإنسانية نظراً لما كان يتحلى به من عدل وإنصاف بين الناس واهتمام جدي بشؤونهم. كما عمل جاهداً على استعادة أراضي الهند السلبيبة وتوحيدها في دولة مركزية قوية. وكان أكبر من دعاة التسامح بين الأديان المختلفة في الهند. فأتثناء حكمه ازدهرت الهندوسية والإسلام جنباً إلى جنب بتوافق وانسجام تامين. فالإمبراطور المسلم (أكبر) كان يتزيا أحياناً بالزي الإسلامي ويذهب للصلاة في المسجد، وأحياناً أخرى كان يرتدي اللباس الهندي ويقصد المعبد الهندوسي للتأمل والعبادة.

هذا الإمبراطور الكبير القلب والواسع الصدر لم يتوقف يوماً واحداً عن إغداق الهبات والعطايا على المحتاجين والمؤسسات الإجتماعية في طول البلاد وعرضها. كان من عادته أن يركب في عربة ملكية فاخرة يجرها ثمانية جياذ مطهمة. وكان الحراس والمنادون يعلنون عن قدوم موكبه الفخم بالطبول والصنوج والأبواق في كافة أرجاء المدينة.

وبالرغم من كل هذا المجد والأبهة، كانت هناك أوامر صارمة من أكبر نفسه لتوقيف الموكب في أي وقت وفي أي مكان إن أراد أحد الرعايا أن يرفع إليه طلباً أو يلتمس منه عوناً.

ذات يوم وأثناء مرور الموكب الملكي المهيب في جادة عريضة تحفّ بها الأشجار من الجانبين، لاحظ الإمبراطور ضريرين جالسين على بُعد أمتار قليلة من بعضهما وهما يصيحان طلباً للعون والصدقة.

أمر أكبر توقيف العربة أمام الضرير الأول الذي كان يصيح:

"الغني من أغناه الإمبراطور".

وبعد أن استمع جيداً لتلك العبارة طلب من السائق أن يتقدم نحو الضريح الآخر الذي كان يصيح:

"الغني من أغناه الله".

على مدى شهر كامل، كان الإمبراطور يسمع نفس العبارتين كلما مر بجانب الضريحين اللذين كانا يطلبان الغنى منه ومن الله. أخيراً دبّت النخوة في رأسه ورغب في مساعدة الرجل الأول الذي كان شعاره: الغني من أغناه الإمبراطور .

وذاًت يوم طلب أكبر من خباز القصر أن يخبز له رغيفاً كبيراً (من نوع الكماج السميك) على أن يكون قلب الرغيف محشواً بالذهب الخالص. هذا الرغيف أعطاه أكبر للضريح الأول وتجاهل كلياً الضريح الثاني الذي كان يتأمل الغنى من الله وليس من الإمبراطور. بعد ذلك بقليل ذهب أكبر في رحلة صيد ولدى عودته مرّ في نفس الجادة فرأى الضريح الذي أعطاه رغيف الذهب ما زال في مكانه ويصيح كسابق عهده: 'الغني من أغناه الإمبراطور'. فطلب توقيف العربية الملكية أمام الضريح وقال له: "ما الذي فعلته بالرغيف الذي أعطيته لك؟"

فأجاب الرجل:

'يا صاحب الجلالة، الرغيف الذي تكرمت به عليّ كان كبيراً ولم يكن جيد الخبز لأنه كان ثقيلاً جداً، ولذلك بعته بعشرة فلوس للضريح الآخر وكنت ممنوناً للحصول على تلك الفلوس التي هي في الأصل من خيركم'.

تلقت أكبر حوله بحثاً عن الضريح الآخر فلم يجده. وبعد الإستفسار عنه علم أنه أعطى الرغيف لزوجته وما أن شقته حتى عثرت على الذهب فاشتريا به بيتاً متواضعاً وقد تحسن حالهما بعد أن حقق الله أمنيتهما وأغناهما من واسع فضله.

ما أن سمع الإمبراطور ذلك حتى أدرك المغزى العميق لتلك الحادثة. وبتواضع باطني لا مزيد عليه تظاهر أنه منفعل وغاضب وراح يؤنب الضريح الأول قائلاً:

'ما الذي فعلته يا غبي؟ لقد أعطيت رغيفي المحشو بالذهب إلى صديقك الذي اتكل على الله وليس عليّ أنا من أجل الغنى. من الآن وصاعداً يجب أن تتبنى شعاره وتنادي مثلما كان ينادي: الغني من أغناه الله .

أو ما معناه:

من له الوهابُ يعطي

وحدهُ يُدعى غنيا

والسلام عليكم